سورة الحشر

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الحشر: ٢]

القراءات: «الرعب» قرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بضم العين والباقون بإسكانها.

«يخربون»: قرأ أبو عمرو بفتح الخاء وتشديد الراء والباقون بإسكان الخاء وتخفيف الراء.

التوجيه: قوله «الرعب» قد تقدم ذكر القراءة فيه ووجوهها.

قال تعالى: ﴿ يُخۡرِبُونَ ﴾

قال الرازي: قال أبو علي: قرأ أبو عمرو وحده.. يُخَرِّبُون.. مشددة وقرأ الباقون.. يُخْرِبون.. خفيفة وكان أبو عمرو يقول: الإخراب أن يترك الشيء خرابًا والتخريب الهدم وبنو النضير خرّبوا وما أخربوا. **قال المبرد:** ولا أعلم لهذا وجهًا. ويخْرِبون هو الأصل، يُقال: خرّب المنزل وأخربه صاحبه كقوله: علّم وأعلمه، فإذا قيل يخرِّبون من التخريب فإنما هو تكثير لأنه ذكر بيوتًا تصلح للقليل والكثير. وزعم سيبويه: أنهما يتعاقبان في الكلام فيجري كل واحد مجرى الآخر نحو فرّحته وأفرحته وحسّنه الله وأحسنه، وقال الأعشى:

وأخربت من أرضِ قومٍ ديارًا .....

وقال الفراء: يخرِّبون بالتشديد يهدمون وبالتخفيف يخرجون منها ويتركونها.

وقال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «يخربون» بسكون الخاء وتخفيف الراء المكسورة مضارع: أخرب وقرأه أبو عمرو وحده بفتح الخاء وتشديد الراء المكسورة مضارع: خرب وهما بمعنى واحد. قال سيبويه: إنّ أفعلت وفعلت يتعاقبان نحو أخبرته وخبّرته وأفرحته وفرحته يريد في أصل المعنى.

وقال ابن جرير: واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق سوى أبي عمرو (يُخْرِبُونَ). بتخفيف الراء بمعنى يخرجون منها ويتركونها معطلة خرابًا وكان أبو عمرو يقرأ ذلك يخرّبون بالتشديد في الراء بمعنى يهدّمون بيوتهم وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري أنهما كانا يقرءان ذلك نحو قراءة أبي عمرو وكان أبو عمرو فيما ذكر عنه يزعم أنه إنما اختار التشديد في الراء لما ذكرت من أن الإخراب إنما هو ترك ذلك خرابًا بغير ساكن وإنّ بنى النضير لم يتركوا منازلهم فيرتحلوا عنها ولكنهم خربوها بالنقض والهدم وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يقول: التخريب والإخراب بمعنى واحد وإنما ذلك في اختلاف اللفظ لا اختلاف في المعنى.

قلتُ: هما قراءتان متواترتان، وفي آخر كلام ابن جرير ما يدل على أنّه غير جازم بتصويب قراءة التخفيف دون الأخرى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

القراءات: «يكون دولة»: قرأ أبو جعفر «تكون» بالتأنيث و«دولة» بالرفع ولهشام ثلاث قراءات: تأنيث «يكون» ورفع «دولة» وتذكير «يكون» وعليه النصب والرفع في «دولة»، وقرأ الباقون بتذكير «يكون» ونصب «دولة».

التوجيه: قال الشيخ عطية سالم: معنى الدولة والدولة بضم الدال في الأولى، وفتحها في الثانية، يدور عند المفسرين على معنيين:

الدولة بالفتح: الظفر في الحرب وغيره، وهي المصدر، وبالضم اسم الشيء الذي يتداول من الأموال. **وقال الزمخشري**: معنى الآية: كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يُعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدًا بين الأغنياء يتكاثرون به، أوكيلا يكون دولة جاهلية بينهم. ومعنى الدولة الجاهلية: أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة، لأنهم أهل الرئاسة والغلبة والدولة، وكانوا يقولون: من عزّ بزّ، والمعنى: كيلا يكون أخذه غلبة أثرة جاهلية، ومنه قول الحسن: اتخذوا عباد الله خولًا ومال الله دولًا، يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به.. إلخ.

وقال ابن عاشور: والدولة بضم الدال: ما يتداوله المتداولون، والتداول: التعاقب في التصرف في شيء وخصها الاستعمال بتداول الأموال. والدولة بفتح الدال: النوبة في الغلبة والملك ولذلك أجمع القراء المشهورون على قراءتها في هذه الآية بضم الدال. وقرأ الجمهور «كي لا يكون دولة» بنصب (دولة) على أنه خبر (يكون) واسم (يكون) ضمير عائد إلى ما أفاء الله وقرأه هشام عن ابن عامر وأبو جعفر برفع (دولة) على أنّ (يكون) تامة و(دولة) فاعله. وقرأ الجمهور (يكون) بتحتية في أوله. وقرأه أبو جعفر (تكون) بمثناة فوقية جريًا على تأنيث فاعله.

وقال ابن جرير: وقوله «كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بينَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ»، فيقول جل ثناؤه وجعلنا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف كيلا يكون ذلك الفيء دُولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه وهذا مرة في أبواب البر وسُبُل الخير فيجعلون ذلك حيث شاءوا ولكننا سَنَّنا فيه سنة لا تُغير ولا تُبدّل. واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار سِوى أبي جعفر القارئ «كَيْلا يَكُونَ دُولَةً» نصبًا على ما وصفت من المعنى وقوله (دُولَةً) بالنصب خبر يكون وقرأ ذلك

أبو جعفر القارئ «كَيْلا يَكُونَ دُولةً» على رفع الدولة مرفوعة بيكون والخبر قوله بين الأغنياء منْكم وبضم الدال من (دُولة) قرأ جميع قراء الأمصار غير أنه حُكي عن أبي عبد الرحمن الفتح فيها. وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك إذا ضمت الدال أو فُتحت فقال بعض الكوفيين معنى ذلك إذا فتحت دال الدولة: النوبة تكون للمَلِك وتكون للجيش يَهزم هذا ثم يُهزم الهازم فيقال قد رجعت الدَّولة على هؤلاء قال: والدولة برفع الدال في الملك والسنين التي تغير وتبدل على الدهر فتلك الدولة والدول وقال بعضهم فرق ما بين الضم والفتح أن الدُّولة: هي اسم الشيء الذي يتداول بعينه والدَّولة الفعل، والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك «كَيْلا يَكُونَ» بالياء (دُوَلة) بضم الدال ونصب الدولة على المعنى الذي ذكرت في ذلك لإجماع الحجة عليه والفرق بين الدُّولة والدَّولة بضم الدال وفتحها ما ذكرت عن الكوفي في ذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]

القراءات: «جدر» قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها وقرأ الباقون بضم الجيم والدال وحذف الألف على الجمع.

التوجيه: قال القرطبي: وقراءة العامة «جُدُر» على الجمع وهو اختيار أبي عبيدة وأبي حاتم، لأنها نظير قوله تعالى: ﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ وذلك جمع، وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو «جدارٍ» على التوحيد، لأن التوحيد يؤدي عن الجمع.

❁❁❁